المحاضرة الاولى: ماهية التغير الاجتماعي

الدكتورة : سامية عزيز
البريد الالكتروني : aziez.samia@univ-biskra.dz

تمهيد:

عندما كانت ظاهرة التغير والحركة ظاهرة ملموسة، ودائمة ومستمرة دون توقف، فنجدها قد أخذت مكان الصدارة من التفكير البشري، وذلك منذ فجر الحضارات الإنسانية بصفة عامة وحتى يومنا هذا، وعلى الرغم من هذا الاهتمام المبكر والمستمر من قبل المفكرين، فإن مفهوم التغير قد عولج من قبل أولئك المفكرين من منظورات وتصورات مختلفة، وكما قال الفيلسوف اليوناني **هيرقميطس**: " إن التغير قانون الوجود والاستقرار موت وعدم "، كما عبر عن التغير في قوله الشهير " إنك لا تنزل البحر مرتين فإن مياه جديدة تجري من حولك "[1].

وتعتبر ظاهرة التغير في الوقت الحالي من أهم المسائل التي تشغل الفكر الاجتماعي الحديث، وخاصة بعد الحربين العالميتين، فقد أخذت تتجه نحو التغير المخطط من أجل إحداث تنمية حقيقة هادفة، وهكذا فلم يعد حدوث التغير يسير تلقائيا دون توجيه واعٍ، وإنما يتم وفق خطة مدروسة، فهو تغيير مقصور وإداري وأصبحت المجتمعات في العصر الحاضر تستحدث المناهج والوسائل من أجل توجيه عملية التغير نحو إحداث وتحقيق التنمية بوجه عام، وهذا يستدعي تحديد مفهومه تحديدا موضوعيا دقيقا، ومعرفة آلياته وأنماطه واتجاهاته وعوامله وعوائقه.

أولا: مفهوم التغير الاجتماعي والمفاهيم المرتبطة به:

لقد اهتم المفكرون والفلاسفة في مختلف العهود برصد التحولات التي تطرأ في مجال الحياة الاجتماعية، فكتب عن هذا فلاسفة اليونان ومن بعدهم فلاسفة العرب المسلمين، ثم جاء دور مفكري عصر التنوير ومن أتى من بعدهم، فإن فكرة التغير الاجتماعي ارتبطت بشكل مباشر بالتغير الفكري عند شعوب العالم، فكلما كان الناس يكتشفون شيئا حديثا ومختلفا عن الذي اعتادوا عليه، كلما ساهم مساهمة مباشرة في تثبيت مفهوم التغير الاجتماعي، والذي أدى إلى تغير الكثير من العادات والتقاليد التي عرفها الأفراد، وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح التغير الاجتماعي قد استخدم أول مرة وبصورة عرضية في كتابات **آدم سميث** وعلى الأخص في كتابه المشهور **ثروة الأمم**، الذي نشر في القرن 18م، لكن لم ينتشر

ويصبح واسع التداول إلا بعد نشر علم الاجتماع الأمريكي **وليام أجبرون** وذلك سنة 1922م في كتابه **التغير الاجتماعي**، حيث رأى أن التغير ظاهرة عامة ومستمرة ومتنوعة ولا لزوم لربطها بصفة معينة، لذلك وجد في اصطلاح التغير الاجتماعي مفهوما متحررا من التقييم، ولا يرتبط بصفات موجبة أو سالبة.

1-1- مفهوم التغير الاجتماعي:

أ. لغة:

كما جاء في لسان العرب " تغير الشيء عن حاله: تحول وغيره حوله وبدله، كأنه جمله في غير مكانه "[2]، وفي التنزيل العزيز يقول جل وعلا: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ **(سورة الأنفال، الآية:35)**

والتغير هو الاختلاف الكمي أو الكيفي ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه في خلال فترة محددة من الزمن، وعندما تضاف كلمة الاجتماعي، يصبح التغير الاجتماعي change social وهو التغير المستمر الذي يحدث داخل المجتمع أو التحول الذي يطرأ على أي من جوانب المجتمع خلال فترة زمنية محددة، وبسبب تأثير مجموعة من العوامل الاجتماعية، إلا أنه كل التغيرات التي تطرأ على المجتمع ذات التأثير المستمر، والتي تعتمد على مجموعة من الأفكار البشرية، والنظريات والآراء، والإيديولوجيات التي يتميز بها كل عنصر من العصور البشرية.

ب. اصطلاحًا:

يختلف مفهوم التغير الاجتماعي على حسب اختلاف نظر العلماء، فيعرف **ماكيونس** Macionis التغير الاجتماعي بأنه: " التحول في تنظيم المجتمع وفي أنماط الفكر والسلوك عبر الزمن "، أما **ريتزر** Ritzer فيقول: " إن التغير الاجتماعي يشير إلى التباين التاريخي في العلاقات بين الأفراد والجماعات والتنظيمات والثقافات والمجتمعات "، ويعرفه **فارلي** Fareley بأنه " التبدل في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والنظم والبناء الاجتماعي[3].

كما يعرف التغير الاجتماعي على أنه أيضا: " كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة "[4].

ويعرف معجم العلوم الاجتماعية التغير الاجتماعي هي على أنه :"كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية ويشمل ذلك كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي ونظمه الاجتماعية أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون اليها"[5]

ويمكن تعريف التغير الاجتماعي أيضا على أنه " تلك الاختلافات والتبادلات التي تحدث أو تتبلور في النظام البيئوي المتمثل في نسق التدرج الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية من خلال الأدوار والمكانات الاجتماعية عبر الزمن "[6].

عند **غي روشيو** Guy Rocher له أربع صفات وهي:[7]

1. **التغير الاجتماعي** ظاهرة عامة ومنتشرة لدى فئات واسعة من المجتمع بحيث يغير مسار حياتها.
2. **التغير الاجتماعي** كل تحول يصيب البناء الاجتماعي.
3. **يكون التغير الاجتماعي**: محددا بفترة زمنية معينة.
4. **يتصف التغير الاجتماعي** بالديمومة والاستمرارية؛ أي ليس مؤقتا سريع الزوال حيث يصعب فهمه.

ويعرفه **جيرت وملز** Gerth Mills على أنه " التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد، وكل ما يطرأ في النظم الاجتماعية وقواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة معينة من الزمن "[8].

أما **جنزبرج** Ginsberg 1972 فيرى أن التغير الاجتماعي أنه " كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي، ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن "[9].

أما **أرنولد** Arnold 1967 فأوضح قائلا " التغير الاجتماعي يشير إلى التغير نمط من العلاقات الاجتماعية والأشكال الثقافية في وضع معين يطرأ عليها أو يظهر عليها التغير أو الاختلاف من خلال فترة محددة من الزمن "[10].

هو التغير والاختلاق في أدوار الأفراد التي يقومون بها في المجتمع من مرحلة زمنية أخرى ، وما يطرأ على هذه الأدوار من تغيرات وتعديلات من حيث الدرجة والسرة وفي ضوء ذلك يمكن القول ان التغير الاجتماعي صفة أساسية من صفات المجتمع ، ولايمكن أن تخضع لادارة معينة بل هي نتيجة تيارات اجتماعية ، وعوامل ثقافية واقتصادية وسياسية يتداخل بعضها في بعض ويؤثر بعضها في بعض ([11])

ان التغير الاجتماعي يحدث في كل مكان وان معدله يختلف من مكان الى أخر .

أما عند العلماء العرب، فيرى: عبد الله الرشدان 1999 أن التغير الاجتماعي هو ذاك " التحول الذي يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية معينة "[12].

أما عند **عاطف غيث** فالتغير الاجتماعي في نظره هو " كل تغيير يطرأ في البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة محددة من الزمن وقد يكون هذا التغير إيجابيا أي تقدما وقد يكون سلبيا أي تخلفا، وقد يكون سريعا ومفاجئا أو بطيئا وتدريجيا أو زيادة أو نقصان... أي ليس هناك من اتجاه أو نمط محدد للمتغير الاجتماعي "[13].

كما يعرف أيضا : "كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة وقد يكون هذا التغير ايجابيا أي تقدما وقد يكون سلبيا أي تخلفا "([14])

كما يرى بأن " التغيرات الاجتماعية هي التي تحدث في التنظيم الاجتماعي، وتأتي على عدة أشكال وهي:[15]

1. **التغير في القيم الاجتماعية**: تلك القيم التي تؤثر بطريقة مباشرة في مضمون الأدوار الاجتماعية ومعايير التفاعل الاجتماعي.
2. **التغير في النظام الاجتماعي**: أي في البناءات المحددة مثل صور التنظيم ومضمون الأدوار.
3. **التغير في مراكز الأشخاص**: ويحدث ذلك بحكم التقدم في السن أو نتيجة الموت.

ويعرف التغير الاجتماعي على أنه أيضا: " تبدل في أنماط التنظيمات الاجتماعية لجماعات معينة تعيش ضمن مجتمع معين ".

ويرى **معن خليل عمر** أن هناك ثلاث أسس توجهنا إلى تحديد مفهوم التغير الاجتماعي وهي:[16]

أ. **الاختلافات**: أي اختلاف الظروف المحيطة بالفرد التي تؤثر فيه فيغير بعضا من سلوكه أو تفكيره أو موافقة مما تجعله مختلفا عما كان عليه قبل إحاطة الظروف المستجدة بع، وهذه بداية تحديد الخطوة الأولى لمتغير.

ب. **التتابع successive الذي يحصل عبر الزمن**: أي التتابع التغير من خلال المراحل الزمنية المتسلسلة وليس بالضرورة تمثل الحقبة الزمنية الراهنة التي نعيشها.

ج. **المقاومة persisting Identity**: أي معارضة الأفراد المتضررين من التغير، إذ أن الذي تغير له علاقة بما يحيط به من معايير وقيم ومكانات وأدوار اجتماعية.

وحتى نتوصل إلى مفهوم أدق لعمليات التغير يجب النظر في العناصر الأساسية التي تشكل المجتمع ليكون بإمكاننا تتبع أوجه التغيرات، وهي عناصر يمكن اعتبارها أساس ربط

المجتمع وهي: الأفكار، القواعد التنظيمية، الأفعال، المصالح. وتتكون كلا منها من أجزاء بعضها ثقافي وآخر اجتماعي، ويمكن التعبير عنيا كمايلي:(17)

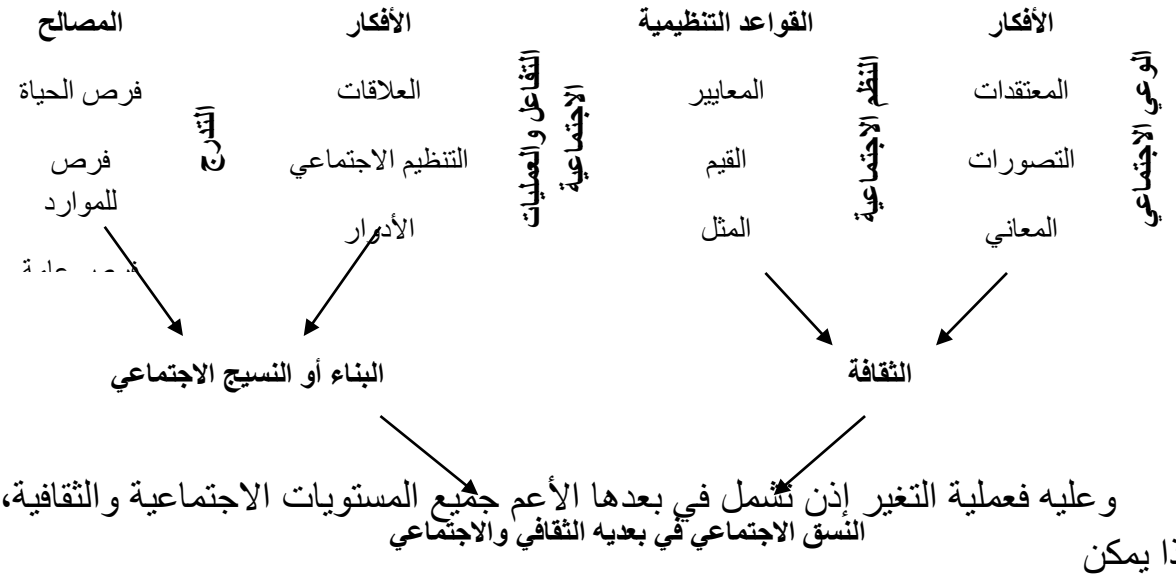

وعليه فعملية التغير إذن تشمل في بعدها الأعم جميع المستويات الاجتماعية والثقافية، بهذا يمكن

القول أنه بمجمله حصيلة مجموع التغيرات في:

- **مستوى الفكر**: ويشمل ظهور الأفكار، وإعادة تشكيلها وظهور العقائد والإيديولوجيات واختفائها، كما يشمل الأسس الشرعية لهذا كله والطرق التي يتم إنتاج المعرفة بها.
- **مستوى الفعل والسلوك**: وما ينتج عن هذا من عمليات تفاعل وعلاقات، وحدات اجتماعية وتنظيمات، من حيث ظهورها واستمرارها أو تعديلها أو اختفائها، وتطور الروابط التنظيمية وتباينها وإعادة تشكيلها.

)

- **مستوى المصالح**: يظهر التغير في تبلور أو شل أو إعادة توزيع الفرص والمصالح، وفرص الحياة، ويظهر في قيام التباين أو تسويته، وتباين التدرج الاجتماعي وتسويته أيضا.
- **مستوى التنظيم والنظم**: ويظهر التغير الثقافي هنا في تأكيد أو رفض المعايير والقيم والقواعد السلوك، أو قيام نظم الأنساق الأخلاقية أو الذوقية أو القانونية أو انحلاليا أو تعديلها[18].

هذه العناصر والمستويات مترابطة ومتداخلة، وبالتالي لا يحدث التغير في إحداها في معزل عن الأوجه الأخرى، فالتغير في أحد هذه الأوجه لابد أن يؤثر بشكل ما في الأوجه الأخرى.